المكتبات الخاصة في الأحساء ونجد

في القرن الرابع عشر الهجري[1]

عبد الله بن عيسى الذرمان

الأحساء/ إدارة التعليم

تُعدُّ المكتبات الخاصة من أقدم أنواع المكتبات، حيث أولى أهل الأحساء ونجد الكتب العلمية عناية فائقة، وتنافسوا في جمعها، وأحبوها حباً شديداً فكان الحكام والأعيان يأتون بها في حِلّهم وترحالهم، ويستفيدون منها في ثراء فكرهم وتوسيع مداركهم، واتخذها العلماء منهلاً يغرفون منه معارفهم، ويرجعون إليه في تحقيق المسائل وتقريرها، قال الشيخ عبدالرحمن بن عثمان الملا: اهتم العلماء في الأحساء والمنطقة الشرقية باقتناء الكتب باعتبارها من أهم المصادر التي ينهلون منها مختلف المعارف والعلوم، ويغترف من غيرها طلابهم ومريدوهم[2] .

ويعود اهتمام النجديين بتكوين المكتبات الخاصة إلى القرن العاشر الهجري[3] ، ثم أخذت المكتبات تنتشر في ربوع نجد، ومن أهمها[4] :

١ – مكتبة آل إسماعيل في مدينة أشيقر.

٢ – مكتبة آل عوسجي في مدينة ثادق.

٣ – مكتبة آل ذهلان في مدينة الرياض.

٤ – مكتبة آل عتيقي في مدينة المجمعة.

٥ – مكتبة آل عضيب في مدينة عنيزة.

وأقدم إشارة تاريخية الى وجود المكتبات في الأحساء تعود الى أيام الدولة الجبرية، حيث كان الأمير أجود بن زامل محباً لجمع الكتب فاقتنى عدداً لا بأس به من كتب الفقه المالكي[5] .

---

(1) – نشر في صحيفة الجزيرة الحلقة الأولى عدد ١٠٨١٥ الخميس ٢٦ ٢٠ والثانية عدد ١٠٨٢٢ الخميس ٤ ٣٠

(2) – عبدالرحمن الملا، حركة التأليف والنشر بالأحساء والمنطقة الشرقية: ص ٤٧ .

(3) – د. محمد العيسى، الحياة العلمية في نجد: ص ٢٨٥.

(4) – د. محمد الشويعر، نجد قبل ٢٥٠ سنة: ص ٤١ .

(5) – محمد الخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ص ١٩٠٠١.

وشهد القرن الرابع عشر الهجري إقبالاً متزايداً على تكوين المكتبات الخاصة وتزويدها بأمهات المصادر العلمية، ونفائس المخطوطات والوثائق الشرعية التي تبرز طبيعة الحياة الثقافية والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية. واتخذت المكتبات الخاصة في هذا القرن شكلين هما:

أ- المكتبات الخاصة بالأفراد:

وهي المكتبات التي تختص بحاكم أو أمير أو عالم أو وجيه أو ناسخ وهذا النوع كثير جداً، ويدل دلالة واضحة على انتشار الوعي الفكري عند بعض الأفراد.

ومن أمثلتها:

١- مكتبة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله-.

٢- مكتبة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود «ت ١٣٩٦هـ».

٣- مكتبة الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسي «ت ١٣٤٣هـ» في مدينة أشيقر.

٤- مكتبة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر «ت ١٣٥٧هـ» في مدينة أشيقر.

٥- مكتبة الشيخ علي بن صالح البنيان «ت ١٣٩٩هـ» في مدينة حائل.

٦- مكتبة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك «ت ١٣٧٦هـ» في مدينة حريملاء.

٧- مكتبة الشيخ حمد بن ناصر العسكر «ت ١٣٥٥هـ» في المجمعة.

٨- مكتبة الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن آل طوق الحنبلي الأحسائي في مدينة الأحساء.

٩- مكتبة الشيخ صالح بن محمد السعد «ت ١٣٧٠هـ» في مدينة الأحساء.

١٠- مكتبة الشيخ عبدالله بن محمد العقلي المالكي في مدينة الأحساء.

١١- مكتبة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ مبارك في مدينة الأحساء.

١٢- مكتبة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الوهيبي الحنبلي في مدينة الأحساء.

١٣- مكتبة الشيخ عيسى بن عبدالله آل عكاس في مدينة الأحساء.

١٤- مكتبة الشيخ سعد بن حمد آل عتيق بمدينة الرياض.

١٥- مكتبة الشيخ محمد بن حمد العمري في مدينة الرياض، وقد اطلعتُ على بعض مخطوطاتها.

ب- المكتبات الخاصة بالأسر:

وهي المكتبات التي يتوارثها الأبناء عن الأجداد جيلاً بعد جيل، ومن أشهرها مكتبة الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ «ت ١٣٦٧هـ» وعن هذه المكتبة قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام: «وأساس هذه المكتبة كتب جده الشيخ عبدالرحمن بن حسن، ثم انتقلت الى ابنه الشيخ عبداللطيف، ومنه الى ابنه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، ومنه الى أخيه الشيخ المترجم»[٦] .

ومن الأمثلة على ذلك – أيضاً – مكتبة المؤرخ القاضي محمد بن عبدالله آل عبدالقادر الشافعي «ت ١٣٩١هـ» بالأحساء، قال الدكتور عبدالفتاح الحلو في ترجمة الشيخ محمد: «ورث عن أجداده مكتبة قيمة حفلت بروائع التراث العربي والإسلامي من مخطوط ومطبوع»[٧] .

وأسهمت مصادر كثيرة في إيجاد المكتبات الخاصة منها:

أولاً: الإهداء:

ومن أمثلة ذلك ان الأمير علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر فتح مخزناً للكتب في مدينة الرياض لتوزيع الكتب العلمية على طلبة العلم وجعل عليه مشرفاً من أهل العلم[٨] .

وأهدى الشيخ عبدالله المغيرة «ت ١٣٥٥هـ» كتبه الى الملك عبدالعزيز –رحمه الله– وهي محفوظة في الخزانة الملكية بالرياض[٩] .

وكان من عادة الملك عبدالعزيز إهداء الكتب للمشايخ جاء في رسالة منه الى الشيخ عثمان بن بشر مكتوبة سنة «١٣٥٠هـ»: «ياصلك مع حلو بن نهير نسخة من تفسير ابن كثير من الخامسة وما فوقه، ونسخة من المغني من الرابع وما فوقه، والمجلد الأول من مجموع الرسايل، ونسخة من الصواعق، ونسخة من شرح الطحاوية...» [١٠] .

وحصل الشيخ عبدالعزيز بن حمدالتويجري على كتب مهداة من دار الكتب بقطر جاء في رسالة مخطوطة من الشيخ يوسف بن راشد آل الشيخ مبارك: حضرة المكرم الفاضل الأخ الشيخ عبدالعزيز بن حمد التويجري المحترم بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وخالص الدعاء بأن تكونوا بصحة ورفاهية

---

(6) – عبدالله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون: ص ١٣٦٠٦.

(7) – د. عبدالفتاح الحلو، شعراء هجر: ص ٥٠٣.

(8) – رسالة مخطوطة من مدير دار الكتب إلى الشيخ يوسف آل الشيخ مبارك سنة ١٣٨٢هـ.

(9) – عبدالله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون: ص ٥١٦٠٤.

(10) – د. عبدالرحمن السبيت وآخرون، من وثائق الملك عبدالعزيز: ص ٢٦٥.

فقد ورد للمكتبة القطرية بالأحساء اربعة مجلدات تحتوي على مجموعة التوحيد والروض الندي والفواكه العديدة باسمكم مرسلة من دار الكتب بقطر...»[11] .

وكان المحسنون الذين اعتنوا بطباعة الكتب يوزعونها مجاناً على الخاصة والعامة، وقد اشتهر بهذا الأمر الوجيه عبدالرحمن بن حسن القصيبي الأحسائي، والتاجر مقبل بن عبدالرحمن الذكير النجدي، وأحمد البراك الأحسائي، وأبناء الملك عبدالعزيز مثل الملك سعود والملك فيصل والأمير منصور -رحمهم الله جميعاً-.

ثانياً: الوراثة:

ورث بعض العلماء والأعيان كتباً كثيرة عن آبائهم، ومن أمثلة ذلك مكتبة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى «ت ١٣٢٩هـ» وكان غالبها بخطه وخط والده[12].

وورث الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ مبارك «ت ١٤٠٤هـ» مكتبة حافلة عن أبيه العلامة ابراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ مبارك «ت ١٣٥١هـ»، كما ورث الشيخ إبراهيم آل طوق الأحسائي عن أبيه الشيخ الأديب عبدالرحمن مجموعة من الكتب النادرة وانتقلت كتب الشيخ سليمان بن عبدالعزيز البسام «ت ١٣٧٧هـ» إلى ابنه الشيخ محمد، وجمع هذا الابن كتب أبيه الموجودة في العراق وعنيزة[13].

٣- النسخ:

يعد نسخ الكتب مصدراً مهماً في ثراء المكتبات الخاصة واتخذ بعض النساخ من العلماء والكتاب النسخ مهنة للكسب وتأمين سبل المعيشة جاء في ترجمة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد النجدي (ت ١٣٥٠هـ): (كان لا يأكل إلا من عمل يده في نسخ الكتب) وقال الشيخ محمد بن عثمان القاضي في ترجمة الشيخ عبد المحسن بن عبيد العبد المحسن النجدي (ت ١٣٦٤هـ): (كان خطاطاً ويتعيش منه).

ومن أبرز الذين أثروا مكتباتهم الخاصة بالكتب المنسوخة بخط أيديهم:

١- الشيخ صالح بن عبدالعزيز الصيرامي (ت ١٣٤٤هـ): ولد في مدينة الدلم بمحافظة الخرج سنة ١٢٨٥هـ وأخذ علمه عن أبيه، وللشيخ صالح خط جميل لذا طلبه الملك عبدالعزيز رحمه الله ليكون كاتباً

---

(11) - رسالة مخطوطة من الشيخ يوسف ال الشيخ مبارك الى الشيخ عبدالعزيز التويجري سنة ١٣٨٣هـ.

(12) - سليمان بن حمدان، تراجم لمتأخري الحنابلة: ص ١٢٣.

(13) - عبدالله البسام، علماء نجد: ص ٣٢٨٠٢.

عنده، ومن أبرز الكتب التي نسخها شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم للامام الترمذي، وكتاب لطائف المعارف للإمام ابن رجب.

٢- الشيخ محمد بن عبدالله العرفج (ت ١٣٣٦هـ): من مواليد الاحساء، وأخذ العلم عن العلامة عبدالله بن علي العبدالقادر، والشيخ صالح بن محمد السعد والشيخ حمد بن عبداللطيف آل الشيخ مبارك المالكي وكان كثير الكتابات ومن منسوخاته ألفية ابن مالك ورسالة فقد الولد وغيرها.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن عامر (ت ١٣٥٧هـ): ولد في أشيقر ونشأ بها وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وغيره وعرف عنه الميل الى نسخ الوثائق الشرفية، والى جانبها اعتنى بنسخ الكتب، ومن منسوخاته:

- كتب لطائف المعارف لابن رجب.
- كتاب الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للسفاريني.
- منظومة الآداب وفريدة الأحباب لأبي عبدالله محمد بن عبدالقوي.
- فتاوى الشيخ سليمان بن علي بن مشرف.
- ديوان المتنبي.

٤- مكتبة الشيخ أحمد بن عبدالعزيز القحطاني (ت ١٣٩٦هـ): من مواليد الاحساء سنة ١٣١١هـ وبرز في تدريس القرآن الكريم قراءة وحفظاً وتولى مهمة تدريسه في مدرسة آل عثمان الخيرية، وكان ذا خط جميل، وكوَّن مكتبة صغيرة بعضها من خطه ومن منسوخاته مصحف شريف، وكتاب صرف العناية بكشف الكفاية للعلامة النحوي عبدالله بن محمد البيتوشي.

٥- مكتبة الشيخ أحمد بن حمد العمير المالكي (ت ١٣٨٧هـ): من مواليد الاحساء ١٣٠٣هـ وأخذ العلم عن الشيخ الفقيه عبدالرحمن بن عبداللطيف الموسى المالكي والعلامة صالح بن محمد السعد وغيرهما وجمع عدداً لابأس به من المخطوطات والمطبوعات الهندية القديمة ومن منسوخاته دعاء ختم القرآن الكريم للشيخ محمد آل فيروز، وكتاب للامام السخاوي.

٦- مكتبة الشيخ عبدالله بن ابراهيم الربيعي: من مواليد مدينة عنيزة وطلب العلم فيها ثم درس على علماء مدينة الرياض وكان محباً للكتب قراءة وجمعاً ونسخاً، وقد ذكر الدكتور راشد بن سعد

القحطاني في بحث نشر في مجلة الدرعية ان الشيخ عبدالله نسخ أكثر من سبعين ومئة عنوان محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود .. هذا غير ما تحتفظ به مكتبات أخرى.

ومن منسوخاته التي ذكرها الدكتور راشد القحطاني:

- المحجة في سير الدلجة للعلامة ابن رجب.
- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر للعلامة ابراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.
- بلوغ الأرب في أحوال العرب للعلامة محمود بن شكري الألوسي.
- أدب الطلب ومنتهى الأرب للعلامة الشوكاني.
- سبل النجاح والفلاح في أذكار المساء والصباح للعلامة سليمان بن سحمان.

٧- مكتبة الشيخ سليمان بن عبدالعزيز بن محمد البسام ت١٣٧٧هـ: من مواليد مدينة عنيزة وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالكريم آل شبل والشيخ عبدالله بن عائض والشيخ عبدالمحسن ابابطين وغيرهم وكان ذا خط جميل ونسخ عدداً من الكتب شكلت نواة لمكتبته ومنها الآداب الشرعية الكبرى لابن مفلح وشرح الغاية للاحسائي وكتاب قواعد ابن اللحام وغيرها.

٤- الرحلات:

أفادت الرحلات محبي جمع الكتب في شرائها من البلدان التي زاروها فالشيخ عبدالعزيز بن زيد آل مانع العقيلي احد مشايخ الحلوة في نجد رجع من قطر (بحمل بعير من الكتب التي اشتراها هناك).

واشترى التاجر النجدي مقبل بن عبدالرحمن الذكير كتاب العقد الفريد خلال رحلته الى مدينة كلكتا بالهند سنة ١٣١٩هـ.

واقتنى الشيخ عبدالله بن محمد العكلي المالكي الاحسائي كتاب الميزان الكبرى للشعراني بالشراء الشرعي من مكة المكرمة.

وتملك الشيخ صالح بن محمد السعد الشافعي الاحسائي كتاب تاريخ الخلفاء للعلامة السيوطي من مكة المكرمة سنة ١٣٢٩هـ.

ولا ننسى رحلات علامة الجزيرة حمد بن محمد الجاسر الى فرنسا وبريطانيا وغيرهما التي سرعت في ثراء مكتبته بالمخطوطات التاريخية والجغرافية والأدبية واللغوية.

٥- الوقف:

تعددت مجالات الوقف الخيري في شبه الجزيرة العربية وكان من مجالاته وقف الكتب اسهاما في نشر العلم وتهذيب السلوك وارشاد الناس الى فضائل الأخلاق وكريم الأعمال من خلال ما تتضمنه الكتب من فوائد دينية وثقافية وأخلاقية.

واتخذ وقف الكتب شكلين هما:

١- الوقف الخاص، وهو وقف الكتاب على الأولاد، أو إمام مسجد، أو عالم معين.

٢- الوقف العام وهو وقف الكتاب على طلبة العلم أو محبي القراءة عموماً وخير مثال على إسهام الوقف في ثراء المكتبة الخاصة مكتبة الشيخ صالح بن سالم البنيان في مدينة حائل، قال الاستاذ سعد بن خلف العفنان في بحث عنوانه (المكتبات في حائل): (اطلعت في مكتبة الصالح على أكثر من أربعين وقفاً للمحسن الكبير عبدالعزيز العريفي شملت مجموعة من الكتب أكثر ما فيها كتب السير واطلعت على مجموعة كبيرة من أسماء النساء أوقفن كتباً في مختلف العلوم أثبتهن الشيخ صالح في الفهرست التي كتبها بخط يده، ومن هؤلاء النساء على سبيل المثال لا الحصر: فهيدة بنت عبدالرحمن الجبر أوقفت كتاب الداء والدواء وفاطمة الزامل أوقفت كتاب أسد الغابة، وخنساء راعية الروضة أوقفت كتاب رياض الصالحين ونهرة آل مفيد أوقفت كتاب بلوغ المرام..)

بعض أسباب فقدان المكتبات الخاصة

خسرت الحركة الثقافية في الاحساء ونجد عدداً من نفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة وفقدت كماً هائلاً من الوثائق ولم يأت هذا الضياع من فراغ بل كانت له عوامل أدت الى هذه الطامة، ومن أبرزها:

١- تعرض بعض المكتبات الخاصة الى سيول الأمطار أو الحرائق أو حشرة الأرضة أو الرطوبة الزائدة.. قال الشيخ عبدالله البسام في ترجمة الشيخ علي بن محمد السناني (ت١٣٣٩هـ): (جمع مكتبة كبيرة غالبها خطية تلف أكثرها عام ١٣٢٢هـ حينما دخلت سيول الأمطار عنيزة وسقط كثير من المنازل ومنها منزله).

وفقدت أسرة العبداللطيف في الاحساء مخطوطات نفيسة بسبب حريق أصابها كما تعرضت مكتبة الشيخ حمد الجاسر في بيروت الى حريق أسهم في احتراق المخطوطات والمطبوعات.

٢- تنقُل صاحب المكتبة من مكان الى مكان آخر: قال الشيخ عبدالله البسام في ترجمة الشيخ سليمان بن صالح البسام (ت١٤٠٥هـ) (خلف مكتبة نفيسة جداً تحتوي نفائس المخطوطات.. ولكنه ضاع الكثير منها بعد وفاته وبسبب التنقل من منزل لآخر).

٣- بيع كتب المكتبة بعد وفاة صاحبها لسداد دين: مثل مكتبة العلامة أحمد بن ابراهيم بن عيسى النجدي ومكتبة محمد بن عبدالرحمن الكرود الاحسائي.

٤- العشوائية في إعارة الكتب وتوزيعها.

٥- انقطاع عقب صاحب المكتبة مما يؤدي الى تفرق الكتب ومن أمثلة ذلك مكتبة الشيخ حمد بن ناصر العسكر في المجمعة.

٦- تعرض المكتبة للسرقة.